ذم ما عليه مدعو التصوف

من الغناء والرقص والتواجد وضرب الدف

وسماع المزامير ورفع الاصوات المنكرة

عما يسمونه ذكرا وتهليلا

بدعوى أنها من أنواع القرب إلى الله تعالى

تأليف

الشيخ الامام العالم المحقق، شيخ الاسلام، موفق الدين

أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

١٩٣١



الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم

ماتقول السادة الفقهاء - احسن الله توفيقهم - فيمن يسمع الدف والشبابة(١) والغناء ويتواجد، حتى انه يرقص، هل يحل ذلك ام لا ؟ مع اعتقاده انه محب لله، وان سماعه وتواجده ورقصه في الله ؟

وفي اي حال يحل الضرب بالدف ؟ هل هو مطلق، او في حال مخصوصة ؟

وهل يحل سماع الشعر بالالحان في الاماكن الشريفة، مثل المساجد وغيرها ؟

افتونا، مأجورين، رحمكم الله

قال الشيخ الامام العالم الأوحد شيخ الاسلام، موفق الدين، ابو محمد عبدالله ابن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه:

(الجواب وبالله التوفيق) ان فاعل هذا مخطيء ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع، غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله ﷺ، ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأما اعتقاده محبة الله عزوجل، فانه يمكن ان يكون محباً لله سبحانه، مطيعا له في غير هذا، ويجوز أن يكون له معاملة مع الله سبحانه، وأعمال صالحة في غير هذا المقام.

وأما هذا فمعصية ولعب، ذمه الله تعالى ورسوله، وكرهه اهل العلم، وسموه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرب الى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه، ومن جعل وسيلته الى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد والابعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب دينا، كان كمن سعى في الارض بالفساد، ومن طلب الوصول الى

(١) المزمار، وكأنها سميت بذلك لانها تشب شهوة النفس، أي تثيرها

الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من الوصول الى المراد .

وقد روى أبو بكر الاثرم قال سمعت أبا عبد الله — يعني احمد بن حنبل — يقول «التغبير محدث»(١) وقال ابو الحارث: سألت أبا عبد الله عن التغبير وقلت: انه ترق عليه القلوب، فقال «هو بدعة» وروى غيره انه كرهه، ونهى عن استماعه

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروي : سمعت الشافعي محمد بن ادريس يقول «تركت بالعراق شيئاً يقال له التغبير أحدثته الزنادقة، يصدون الناس به عن القرآن»

وقال يزيد بن هارون « مايغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير ؟ »

وقال عبد الله بن داود « أرى ان يضرب صاحب التغبير »

والتغبير اسم : لهذا السماع، وقد كرهه لائمة كما ترى، ولم ينضم اليه هذه المكروهات من الدفوف والشبابات، فكيف به إذ انضمت اليه واتخذوه ديناً ؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قيل المكاء التصفير ، والتصدية التصفيق . وقال الله سبحانه لنبيه (وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا)

ومن المعلوم ان الطريق إلى الله سبحانه انما تعلم من جهة الله تعالى بواسطة رسوله ﷺ، فان الله تعالى رضيه هاديا ومبيناً، وبشيراً ونذيراً، وأمر باتباعه ، وقرن طاعته بطاعته ، ومعصيته بمعصيته ، وجعل اتباعه دليلا على محبته ، فقال سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال سبحانه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) وقال سبحانه (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

---

(١) المغبرة . قوم يغبرون بذكر الله ، أي يهللون ويرددون الصوت بالقراءة ونحوها سموا بذلك لأنهم يرغبون الناس في الغابرة أي الباقية

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقاً على أمته ، حريصاً على هداهم رحيما بهم ، فما ترك طريقاً تهدي إلى الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله وقوله، وكان أصحابه عليهم السلام من الحرص على الخير والطاعة، والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا سابقوا اليها، فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته انه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليلة في سماع يتقرب به إلى الله سبحانه ، ولا قال: من رقص فله من الاجر كذا ولا قال الغناء ينبت الايمان في القلب ، ولا استمع الشبابة فأصغى اليها وحسنها؛ أو جعل في استماعها وفعلها أجراً. وهذا أمر لايمكن مكابرته، واذا صح هذا لزم أن لايكون قربة إلى الله سبحانه ، ولا طريقاً موصلا اليه ، ووجب أن يكون من شر الامور، لان النبي ﷺ قال « خير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها » وهذا منها. وقال عليه الصلاة والسلام « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» وقد سمى الائمة هذا بدعة بما ذكرناه

فأما تفصيل هذه المسموعات من الدف والشبابة وسماع كل واحد منهما منفرداً فان هذه جميعها من اللعب، فمن جعلها دأبه او اشتهر بفعلها او استماعها او قصدها في مواضعها أو قصد من أجلها فهو ساقط المروءة، ولا تقبل شهادته ، ولا يعد من أهل العدالة ، وكذلك الرقاص

وأغلظها الشبابة، فانه قد روي فيها الحديث الذي يرويه سليمان بن موسى عن نافع قال: كنت مع ابن عمر في طريق فسمع صوت زامر يرعى، فعدل عن الطريق وادخل أصبعيه في أذنيه ثم قال: يا نافع، هل تسمع ؟ هل تسمع ؟ قلت: نعم ، فمضى ثم قال: يا نافع ، هل تسمع ؟ قلت: لا ، فأخرج يديه من أذنيه ، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل. رواه الخلال في جامعه عن عوف بن محمد المصرى عن مروان الطاطرى عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى. ورواه أيضاً عن

عثمان بن صالح الانطاكي عن محمود بن خالد عن أبيه عن المطعم بن المقدام عن نافع وسئل أحمد عن هذا الحديث، فقال: يرويه سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر وهذا مبالغة من النبي ﷺ في تحريمه لسد أذنيه وعدوله عن الطريق ولم يكتف باحدهما عن الآخر

ولانها من المزامير، وما بلغنا عن أحد من العلماء الرخصة في المزمار، فهي كالطنبور، بل هي أغلظ، فانه ورد فيها مالم يرد فيه

وأما الغناء فقد اختلف العلماء فيه. وكان أهل المدينة يرخصون فيه، وخالفهم كثير من أهل العلم، وعابوا قولهم.

قال عبد الله بن مسعود «الغناء ينبت النفاق في القلب» وقال مكحول «من مات وعنده مغنية لم يصل عليه» وقال معمر «لو ان رجلا أخذ بقول اهل المدينة في السماع - يعني الغنا، واتيان النساء في ادبارهن - وبقول اهل مكة في المتعة والصرف، وبقول اهل الكوفة في المسكر - كان شر عباد الله»

وسئل مالك بن انس عما يترخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال «انما يفعله عندنا الفساق» وكذلك قال ابراهيم بن المنذر الخزامي.

وعلى كل حال فهو مكروه ليس من شأن أهل الدين،

فأما فعله في المساجد فلا يجوز، فان المساجد لم تبن لهذا. ويجب صونها عما هو أدنى منه، فكيف بهذا الذي هو شعار الفساق ومنبت النفاق؟

وأما الدف فهو أسهل هذه الخصال. وقد أمر به النبي ﷺ في النكاح وجاءت الرخصة فيه في غير النكاح أيضاً. ولا يتبين لي تحريمه إلا ان يكون الضارب به رجلا يتشبه بالنساء، فيحرم لما فيه من تشبه الرجال بالنساء. ويضرب به عند الميت، فيكون ذلك اظهاراً للسخط بقضاء الله والمحاربة له، فأما إن خلا من ذلك فلست أراه حراما بحال

وقد كان أصحاب عبد الله بن مسعود يخرقون الدفوف ويشددون فيها ، وذكر ذلك احمد عنهم ولم يذهب اليه، لان السنة وردت بالرخصة فيه، وهي أحق ما اتبع

فقد روي عن عياض بن غنم صاحب رسول الله ﷺ ـ وقد شهد عيداً بالانبار ـ فقال : ما أراكم تفلسون، كانوا يفلسون في زمان رسول الله ﷺ يفعلونه. قال يزيد ابن هارون : التفليس ضرب الدف

وقال أنس بن مالك : مر النبي ﷺ بجوار من بني النجار وهن يضربن بدف لهن وهن يقلن :

نحن جوار من بني النجار   وحبذا محمـد من جار

فقال « الله يعلم اني أحبكم »

وروي ان امرأة قالت للنبي ﷺ : إني نذرت إن سلمك الله ان أضرب على رأسك بالدف ، فقال « إن كنت نذرت فافعلي وإلا فلا » أو كما جاء .

وفي الجملة فانه وإن رخص فيه للاعب فانا نعتقده لعباً ولهواً

فأما من يجعله ديناً، ويجعل استماعه واستماع الغناء قربة وطريقاً إلى الله سبحانه فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرمات أو غلام جميل يسلبه دينه ، ويقين قلبه ، ويخالف ربه في قوله سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فكان ذلك دليلا على تسمحه في المخالفة لقوله (ويحفظوا فروجهم) ولم يكن ذلك أزكى لهم. ومن ابتلى بمخالفة أول الآية فليبادر إلى العمل بآخرها (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وقد قال بعض التابعين « ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار أكثر من الغلام الامرد يقعد اليه »

وقال ابو سهل « سيكون في هـذه الامة قوم يقال لهم اللائطون على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل »

وعن الحسن بن ذكوان انه قال « لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صوراً كصور النساء ، وهم اشد فتنة من العذارى »

ولا ينبغي لأحد ان يغتر بنفسه ، أو يثق بما يظن في نفسه من صلابة دينه ، وقوة ايمانه ، فان من خالف حدود الله تعالى ونظر إلى ما منعه الشرع من النظر اليه نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه . وكيف يغتر عاقل بذلك ، وقد علم ما ابتلي به داود نبي الله عليه السلام ، وهو أعبد البشر ، ونبي من انبياء الله تعالى ، يأتيه خبر السماء . وتختلف اليه الملائكة بالوحي ، ومع ذلك وقع فيما وقع فيه من الذنب بسبب نظرة نظرها . وبعض عباد بني اسرائيل عبد الله سبعين عاما ثم نظر الى امرأة فافتتن بها . وبرصيصا العابد ، كان هلاكه بسبب النظر ، والنبي ﷺ يقول لعلي عليه السلام « لا تتبع النظرة النظرة ، فانما لك الاولى وليست لك الأخرى » وهو من سادات هذه الامة ، ومحله من الدين والعلم والمعرفة بالله تعالى وبحقه وحدوده وحرماته محله ، فمن انت ايها المغرور الجاهل بنفسه ؟ انظر أين انت من هؤلاء المذكورين ، وقد روى اسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ « ما تركت فتنة بعدي اضر على الرجال من النساء » وجاء في الاثر « ان النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » وقال النبي ﷺ « العينان تزنيان وزناهما النظر » وقال الفضيل بن عياض « الغناء رقية الزنا » فاذا اجتمعت رقية الزنا وداعيته ورائده فقد استكملت أسبابه ،

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه قال « انه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء »

ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على الايمان مع ما ينبت النفاق في قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد احتواء أذنيه على شيء مما ينتفع به .

فمن أحب النجاة غداً ، والمصاحبة لأئمة الهدى ، والسلامة من طريق

الردى ، فعليه بكتاب الله فليعمل بما فيه ، وليتبع رسول الله ﷺ وصحابته فاينظر ما كانوا عليه ، فلا يعدوه بقول ولا فعل ، وليجعل عبادته واجهاده على سننهم ، وسلوكه في طريقهم ، وهمته في اللحاق بهم ، فان طريقهم هو الصراط المستقيم ، الذي علمنا الله سبحانه سؤاله ، وجعل صحة صلاتنا موقوفة على الدعاء به فقال سبحانه معلما لنا (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آمين .

فمن شك أن النبي ﷺ كان على الصراط المستقيم فقد مرق من الدين ، وخرج من جملة المسلمين ، ومن علم ذلك ، وصدق به ورضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وعلم أن الله تعالى قد أمرنا باتباع نبيه بقوله سبحانه (واتبعوه لعلكم تهتدون) وغير ذلك من الآيات . وقول النبي ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقوله عليه الصلاة والسلام « خير الهدي هدي محمد . وشر الامور محدثاتها » فما باله يلتفت عن طريقه يمينا وشمالا . وينصرف عنها حالا فحالا ، ويطلب الوصول إلى الله سبحانه من سواها ، ويبتغي رضاه فيما عداها ؟

أتراه يجد أهدى منها سبيلا ، ويتبع خيراً من رسول الله ﷺ دليلا ؟ كلا ، لن يجد سوى سبيل الله سبحانه إلا سبيل الشيطان ، ولن يصل من غيرها إلا الى سخط الرحمن ، قال الله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وروي عن النبي ﷺ انه خط خطا مستقيما فقال « هذا سبيل الله » وخط من ورائه خطوطا فقال « هذه سبل الشيطان ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، من أجابهم اليها قذفوه في النار » أو كما جاء في الخبر .

فأخبر أن ماسوى سبيل الله هي سبل الشيطان ، من سلكها قذف في النار ،

وسبيل الله التي مضى عليها رسول الله ﷺ وأولياؤه والسابقون الاولون، واتبعهم فيها التابعون باحسان الى يوم الدين، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم، فمن سلكها سعد، ومن تركها بعد،

وطريق رسول الله ﷺ وسنته وأخلاقه وسيرته وما كان عليه في عبادته وأحواله مشهور بين أهل العلم، ظاهر لمن أحب الاقتداء به واتباعه، وسلوك منهجه، والحق واضح لمن أراد الله هدايته وسلامته و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً)

ثبتنا الله وإياكم على صراطه المستقيم، وجعلنا وإياكم ممن يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم

فياأيها الآدمي المسكين المخلوق لأمر عظيم، الذى خلقت من أجله الجحيم وجنات النعيم، إذا أنت أصغيت الى الملاهي بسمعك، ونظرت الى محارم الله ببصرك، وأكلت الشبهات بفيك، وأدخلتها إلى بطنك، ورضيت لنفسك برقصك ونقصك، وأذهبت أوقاتك العزيزة في هذه الاحوال الخسيسة، وضيعت عمرك الذى ليست له قيمة، في كسب هذه الخصال الذميمة، وشغلت بدنك المخلوق للعبادة، بما نهى الله عنه عباده، وجلست مجالس البطالين، وعملت أعمال الفاسقين والجاهلين، فسوف تعلم اذا انكشف الغطاء، ونزل القضاء، ماذا يحل بك من الندم يوم ترى منازل السابقين، وأجور العاملين، وأنت مع المخلفين المفرطين، معدود في جملة المبطلين الغافلين، قد زلت بك القدم، ونزل بك الالم، واشتد بك الندم، فيومئذ لا يرحم من بكى، ولا يسمع من شكى، ولا يقال من ندم، ولا ينجو من عذاب الله إلا من رحم.

أيقظنا الله واياكم من سنة الغفلة، واستعملنا واياكم فيما خلقنا له برحمته.

تمت الفتيا، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً